وقد تفننوا في أساليب النفقة والبذل حتى اشتهر أمر الاسراف بين العموم وشاعت لديهم طرقه بما صير الكلام فيه مبتذلاً يتحدث فيه العامة فضلا عن الخاصة فلذلك رأينا ان لا نذكر في هذا الصدد سوى بعض الحوادث الجارية وبيان النتائج العظيمة التي تتولد عنها لان العبرة أشد وقعاً في النفوس من بسط كلام مجرد أشبه شيء بوعظ الفته الآذان فمجه الذوق

وقبل الدخول في الموضوع نقول : نعم ان اكثر علماء الاقتصاد والثروة العمومية أجمعوا كلهم على ان البذخ لدرجة ما يسميه الفرنجة بال لوكس هو من أعظم الدلائل على تقدم الامة وارتقائها لكن اكثر علماء التاريخ تنبهنا الى ان كل الشعوب القوية عند ما تطوحت في البذخ والتبذير القت بنفسها الى التهلكة وانفصمت عرى قوميتها واضمحلت قوتها وأصبحت فريسة شعوب همجية جديدة ظلت المنتصرة الفائزة الى ان وقعت هي أيضاً في نفس ما وقعت تلك فيه فآل أمرها الى الهرم وسوء المغبة وبئس المصير

ولسهولة الكلام في موضوعنا هذا قد حصرناه فيما يختص بالبيت ﴿ وهو الوطن الاصغر ﴾ وقسمناه الى اسراف المرأة . واسراف الرجل واسراف العائلة

﴿ اسراف المرأة ﴾

اجتمعت سيدة متزوجه عرفت بالتبذير وكثرة النفقات بكهل متمول عزب فسألته وهي تقصد بكلامها الانتقاد والتنكيت: لماذا لم تتزوج الى الآن العلك تخاف العجز عن القيام باود عائلتك ـ فاجابها الغني العزب بهدوء تام وهو يقصد تخجيلها : بوسعي يا مولاتي القيام باود سبع عائلات لكن ثروتي

على اتساعها لا تكفي لدفع ؛ قوائم ؛ خائطة لاحدى سيدات هذا الزمن طويلا

ثم مضى على ذلك السؤال وجوابه حين من الزمن تلاقى المتخاطبان في نهايته فكان العزب شيخاً قد بلغ من الكبر عتياً واخنت الايام على صحته وشعر بمرارة الوحدة وآلام الانفراد ولكن ثروته كانت قد تضاعفت بما أضيف اليها من أرباحها المقتصدة دون ان يعود له مقدرة على التمتع بغناه لانه أصبح شيخاً اشعل رأسه الشيب واخنت ظهره الايام واضعفت قواه السنون. فحرم لذة النظر للدريئات لضعف بصره وحظر عليه استماع الفاظ الحنو والشفقة لخلو بيته من رفيقة تشفق عليه وذرية تحنو اليه واسباط يتسلقون ركبتيه فيذكرونه سالف أيامه والذكرى كما يعلم الجميع من أنفس ذخائر الشيخوخة . فلم يعد يلذ له أكل ولا يروق له شراب ولا يهنأ له نوم لانه تحقق كونه بازاء من حوله كالبقرة الحلابة التي انما تخدم وتطعم طمعاً في درها فلا أحداً يعتني به الا طمعاً في دنانيره . اما السيدة المسرفة فكانت تقاسي من شظف العيش وضيق ذات اليد الشدائد والاهوال لانها كانت قد ضحت مستقبلها لحالها ولم تدخر لصروف الايام ما تدفع به نوائبها فخسرت المال والجمال وعاينت ما يقاسيه أولادها من ضيق الخناق في ميادين التفاني للحياة وهي تشعر بانها هي الجانية عليهم والمسببه لاتعابها واتعابهم ناهيك عن تحرقها وتمرمرها عند ذكرها ما فات ومقابلته بما هي فيه الآن ولا عذر لها على جريمتها تتذرع به لاسكان وخزات ضميرها وايقاف تبكيته والتخلص من تعنيفه .

ومما مرّ نرى بان العزب قد جنى على نفسه بتفضيله المال على العائلة التي لو صرف بعضه على تأسيسها لكانت رأس مال حياً له تقر بها عينه

ويأنس بها قلبه ويمتلئ منها فراغ حياته التي تكون بدونها عبارة عن اكل وشرب ونوم غير انه مع ذلك له عندنا بعض العذر. كيف لا وتطوح سيدات هذا الزمن في عبادتهن لآلهة المودة قد صارت الى حد لم تدع لطائفة العزاب رغبة شديدة للتقرب منهن ومشاطرتهم اياهن الحياة فهي قد ملكت قيادهن وتمكنت من افئدتهن لدرجة لم تدعهن ان يهدأ لهن بال او يقر لهن قرار مالم يتمكن من تتبع تغييراتها والسير على تقلبات ازيائها غير ناظرات الى ما تسببه افعالهن هذه من الاضرار الجسيمة والنتائج الوخيمة وهنا نورد مثالا مما تأتيه السيدات الفاضلات ﴿ ويا حبذا لو كنّ كذلك ﴾ مع ازواجهن التي لو سمعها عزب لفر من الزواج فراره من وحش ضار او وباء جارف وذلك ان رجلاً من متوسطي الحال ومحصوري الرزق له ابوان طاعنان في السن يعولهما قد تزوج بفتاة من بنات طبقته ولم يمض على زواجهما طويلا حتى صودف في بيت احد اقاربهما فطلبت السيدة من زوجها ان يشتري لها ثوباً من الحرير ثميناً لتخيطه على آخر زي فمانعها زوجها بذلك مذكراً اياها بأثواب عرسها الجميلة التي كانت تملأ خزانتها شأن كل عروس فتحت بيتاً منذ عهد قريب فلم يجده كلامه نفعاً لانها أخذت ترد له التغيرات التي نشأت في عالم المودة منذ زواجها وتختلق لكل من كساويها عيباً تكاد لا تراه عين خالية من الغرض . اما زوجها فمنذ ما رأى منها ذلك الاصرار استنجد بابويه وبعض معارفه علهم يقنعونها بالعدول عن عزمها فاخذوا بطرق كل باب ظنوا فيه تحريك عواطفها فابانوا لها حقيقة مركز زوجها وذكروها بانه من فئة المستخدمين الذين لا مورد رزق لهم سوى مرتبهم

الشهري وان كلما جمعه من الدراهم قبلا قد صرف في معدات المرس وتأثيث المنزل على ذوقياهي . فلم يكن منها عند سماعها كلامهم الا النفور والاشمئزاز وعوض ان تتأثر او تعود الى رشدها قالت بخشونة المدائن اللفظ : لماذا يتأهل المعدمون ببنات الناس اذا كانوا يعلمون من انفسهم العجز عن القيام بنفقاتهن فلئن رأيت من زوجي امتناعاً عن تلبية طلبي لافعلن واتركن . . . . ولقد تفوهت بما ذكرنا بالفاظ يسوء وقعها على النفوس وتقشعر لها ابدان الهمج فضلا عن قلوب بنات الجنس اللطيف المتمدنات .

فلم يسع ذلك الزوج المسكين سوى مشترى راحته البيتية بتضحية ما ادخره لايام البطالة فرهن بيتاً كان يمتلكه قياماً بمطالب امرأته المسرفة فتراكم الدين الى ان اكلت فؤاده البيت واصبح في حالة غير مرضية

هو الاسراف الذي احنى الظهور واضر بالجمهور وهي الموده التي تزين لجوار بها انهن لاقبل لهن باستجلاب استحسان الغير ومدحهم لهن الا متى قمن باقل اشاراتها ولذلك نراهن يستسهلن كل صعب ويستهون للقيام باعبائها كل امر عسير فيأتين للحصول على مطالبها كل منكر قولا وفعلا والعياذ بالله من سوء العقبى والسير مع الهوى

﴿ الدوته ﴾

بقلم الكاتب الادب البارع نجيب افندي كنعان

قبضة من المال بيد فتاة شنعاء او قليل من العقار تحت حوذتها يجعل الكثيرين من الشبان ان يتهافتوا على ابوابها تهافت الجياع على القصوع او العطاش على الورود طمعاً في الاقتران بها للحصول على تلك القبضة او ذلك المتاع الذي اذا تم لهم حيازه سيدته ولم يحسنوا